جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد 2. السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الإنسان الصوفي في نظر الأمير عبد القادر الجزائري
بين الضوابط العقدية والممارسة السلوكية

The Sufi person in emir abdelkader al-jazaery opinion
Between nodal controls and behavioral practice.

د. طاهري أحمد[1]
tahrimhamed1981pr@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/24 تاريخ القبول: 2025/02/21 تاريخ النشر: 2025/03/22
Received: 24/01/2025 Accepted: 21/02/2025 published: 22/03/2025

ملخص المقال:

تهدف هذه الدّراسة إلى البحث في مجموع المبادىء والقيم الصوفية الإنسانية التي حملها فكر الامير عبد القادر الجزائري من خلال ملامسة تجربته الصوفية العرفانية ومدى تطابقها وتجسيدها على أرض الواقع لتقويض سلطة الآخر كإشكالية رئيسية نحاول الإجابة عنها .

حيث تبين لنا أنّ عبقرية الرجل وحكمته في البحث عن ماهية الإنسان الكامل الصوفي جعلته يربط تحقيق مشروعه الهادف لتقويض سلطة المستعمر الفرنسي بدرجة تمسك هذا الإنسان بصفات الكمال ظاهرا وباطنا كضوابط روحية مع ضرورة تماثلها مع سلوكه الاجتماعي. لذا كانت صوفية الأمير تدعو إلى تحقيق نوع من التناغم بين الإنسان الصوفي المثالي المرتبط بالعالم العلوي والإنسان الصوفي المجسّد لطموحات المتصوفة على أرض الواقع.

كلمات مفتاحية: الإنسان، التصوف، الأمير عبد القادر، العقائد، القيم، الممارسة السلوكية.

Abstract:

This study aims to investigate the sum of the humanistic Sufi principles and values carried by the thought of Prince Abdulkader Al-Jazairi through touching his Irfan mystical experience and the extent of their conformity and embodiment on the ground to undermine the authority of the other as the main problem we are trying to answer.

It turned out that the genius and wisdom of man in the search for what a Sufi perfect man is made him link the realization of his project aimed at undermining the authority of the French colonizer to the degree that this man adheres to the qualities of perfection outwardly and inwardly as spiritual controls with the need for their similarity with his social behavior. So the Prince's mysticism called for achieving a kind of harmony between the ideal Sufi man associated with the upper world and the Sufi man embodying the ambitions of the Sufi on the ground.

Keywords: *Human; Sufism; Prince Abdelkader; Beliefs Value; Behavioral Practice.*

(1) جامعة البليدة2 لونيسي علي(الجزائر).

مقدمة:

لا مراء أنّ الحديث عن شخصية الأمير عبد القادر سوف يأخذ من الباحث صفحات عديدة أو مؤلفات كثيرة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بفكره وفلسفته وصوفيته التي أخذت من حياته حيزا واسعا، تجلّت في كمّ معتبر من التواليف، حاول من خلالها إبراز توجّهاته الفكرية والعقدية وأهدافه التي سعى إلى تحقيقها على أرض الواقع.

ونظرا لكون الإنسان هو علّة الوجود، فقد ذهبت أنامل المفكرين والفلاسفة إلى طرح نظريات فلسفية وفكرية حاولوا من خلالها النبش في ماهية الإنسان ووظيفته، فكانت فكرة الكمال الإنساني الشغل الشاغل لأغلبهم، وكان الأمير عبد القادر من بين هؤلاء الصوفية الذين حاولوا إعداد تصوّر واضح حول الإنسان الصوفي الكامل كمشروع مستقبلي قابل للتجسيد على أرض الواقع في ضلّ الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري إزاء همجية وتعسف الاستعمار الفرنسي.

ولا نروم من عملنا هذا الالتفات إلى عالم الغيب الذي يجعل من المتصوف بعيدا عن واقعه الاجتماعي والعالم المحيط به، بقدر ما نهيم إلى ملامسة ملامح الإنسان الصوفي وعلاقته بالمجتمع الإنساني، من خلال تسليط الضوء على الإنسان الصوفي الكامل النموذجي الذي وضعه الأمير عبد القادر كمثال مجسّم يرى فيه تطبيقا لأفكاره وعقائده من جهة الجوهر والسلوك الممارس على أرض الواقع، دون قطع الصلة مع الخالق الآمر الناهي.

من هنا تبدو أهمية الموضوع في كونه من البحوث التّاريخية الفلسفية الفكرية التي تصب في خانة التقميش عن الأفكار الصوفية التي نادى بها الأمير عبد القادر، والتي تهدف إلى فهم الإنسان الكامل الصوفي وحقيقته ومدى تماثل جوهره وكيانه الغيبي مع الواقع المعاش آنذاك في ضلّ الأوضاع المكفهرة التي عرفتها الجزائر.

ورغم أهمية الموضوع، فإنّه لم ينل حظه من الدّراسات التّاريخية والفلسفية باستثناء بعض الدّراسات التي حاولت معالجته من الناحية الأنتروبولوجية دون تسليط مجهر البحث على الجوانب المغيّبة منه، خاصّة إذا تعلّق الأمر بتجسيد توجهاته على أرض الواقع.

ولعلّ صعوبة الغوص في الأفكار الصوفية وفهم المقصود منها، هو ما دفع العديد من الباحثين والدارسين إلى تجنب الحديث عنها، لما تحمله من تناقضات واختلافات قد تأخذ من الباحث مدّة طويلة تجعله لا يصل إلى مبتغاه. وهو ما دفعنا إلى محاولة جمع المادة العلمية من عديد المضان التّاريخية والفلسفية لفهم الإنسان المثالي الصوفي الذي كان الأمير يصبو إلى تحقيقه من خلال مؤلّفاته الصوفية.

انطلاقا من هذه الملاحظات، فإنّ عملنا هذا نحاول من جوهره معالجة إشكالية رئيسية تبحث في: نظرة الأمير عبد القادر للإنسان الصوفي؟ ومدى تماثل مفهوم الإنسان الصوفي الذي وضعه الأمير مع مشروعه الحقيقي الداعي لتقويض سلطة الآخر والمتطابق مع توجّهاته الصوفية العقدية؟.

وللتفصيل في هذا التوجّه، حاولنا طرح بعض الإشكاليات الفرعية تمحورت حول: الكشف عن المشارب الفكرية والثقافية لدى الأمير؟ إبراز المراحل الأساسية للتجربة الصوفية الأميرية؟ كيف نظر الأمير للإنسان الكامل الصوفي؟ ماهي أهم الضوابط العقدية والقيمية التي وضعها الأمير في الإنسان المثالي الصوفي؟ ما مدى تطابق جوهر ومكنون وكيان أنموذج الإنسان الصوفي المثالي عند الأمير مع الواقع المعاش في ضلّ الاستعمار الفرنسي؟ كيف نظرت الإسطوغرافيا الأجنبية لصوفية وإنسانية الأمير؟.

1.جوانبٌ من حياة الأمير ومشاربه الفكرية والثقافية

يتّصل نسب الأمير عبد القادر بالأسرة الحُسينية الإدريسية الشريفة بالمغرب الأقصى (عبد القادر الجزائري،1964،صفحة 93)أي أنّه من ذريّة سيّدنا علي بن أبي طالب(الزبيري،1982،صفحة 12). لذا فهو الأمير ناصر الدّين عبد القادر بن محي الدّين بن مصطفى بن محمّد بن مختار بن عبد القادر الحُسيني الجزائري.

ولد عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب1222هـ الموافق لـ:26 سبتمبر1807م (عبد القادر الجزائري،1964،صفحة932؛ الزبيري،1982،صفحة 12؛ العربي،1975،صفحة 12؛ تشرشل،1982،صفحة 39) بقرية القِيطنة الّتي بناها جدّه والقريبة من مدينة معسكر وهي الأقرب من مزار محمّد بن الحنفية بالجانب الأيسر لوادي الحمام(سعيدوني،2000،صفحة 155).

تميّز الأمير بالنبوغ العلمي منذ طفولته، حفظ القرآن الكريم والحديث وأصول الشّرع على يد والده قبل أن يرتحل إلى وهران للاستزادة العلمية وتعرّضه للسجن رفقة والده(عبد القادر الجزائري،1964،صفحة 304، 932؛ تشرشل،1982،صفحة 39، 41، 43). كما كانت له رحلةٌ رفقة والده إلى البلاد المشرقية التي كان لها دورٌ في صقل شخصيته الدّينية(السيّد، 1985، صفحة 38، 42، 99-100).

حمل الأمير لواء المقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي الغاشم إثر مبايعته من طرف أعيان المنطقة(عبد القادر الجزائري،1964،صفحة 14، 99، 103)، وتمكّن بفضل حنكته السّياسية أن يحقّق انتصاراتٍ على العدو أجبرت فرنسا على الرضوخ له بعدّة معاهدات صلح(عبد القادر الجزائري،1964،صفحة151؛ تشرشل،1982،صفحة17)، إلاّ أنّ الأوضاع المحيطة به جعلته يتكبّد العناء في الحفاظ على استقرار دولته جرّاء السّياسة الفرنسية التي دفعته إلى الاستسلام سنة1264هـ/1847م(عبد القادر الجزائري،1964،صفحة176).

تعرّض الأمير لتجربةٍ قاسيةٍ في المنفى، سواءً في السجون الفرنسية أو في إقامته الجبرية بدمشق السورية لينالـه الموت إثر مرض ألزمه الاستقرار بداره بدمشق، حيث كانت وفاته على السّاعة السّابعة من يوم السبت19رجب1324هـ الموافق لشهر أيّار من سنة1301هـ/1883م(عبد القادر الجزائري،1964،صفحة53، 67، 247؛ سعد الله،1976، ج2،صفحة43، 48).

تميّز الأمير عبد القادر بسعة العلم والمعرفة وتبحره بعديد العلوم الدّينية والشّرعية خاصّة في المجال الصوفي الذي أثّر على تكوينه الفكري؛ لذا تعد رحلاته إلى المناطق المجاورة وإلى المشرق من أهم العوامل التي صقلت مواهبه العلمية(سعيدوني،2000،صفحة15؛ البناني وآخرون،1988،صفحة49). ومن العلوم التي تبحر فيها الأمير علم النّحو، اللّغة، الحديث، التصوّف، التّاريخ، الأدب، الفقه، الشّعر وغيرها، ولعلّ هذه الحُظوة العلمية جعلته يترأس الجلسات العلمية بالمساجد والمدارس(عبد القادر الجزائري، 1964، صفحة17، 54، 167؛ بن ساعد، 2003-2004، صفحة 22-23).

2. مراحل التجربة الصوفية عند الأمير

يعرّف الأمير عبد القادر التصوّف بقوله: "جهاد النّفس في سبيل الله؛ أي لأجل معرفة الله، وإدخال النّفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان للإحكام الربوبية، لا لشيء آخر غير لسبيل الله"(بن عمار،2018، صفحة 180-185؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة130). وبذلك فإنّه يرى أنّ التصوّف جهادٌ روحيٌ ومادي يجعل الفرد خاضعًا للأوامر الله سبحانه وتعالى.

والظّاهر أنّ البدايات الأولى للتجربة الصوفية للأمير تعود إلى تكوينه الأوّل، الذي خضع فيه لتربيةٍ دينيةٍ صوفيةٍ ورثها عن والده وشيوخه، وهي المرحلة التي تعلّق فيها بهذا العلم وتعرّف على رجالاته عن طريق القراءة والتّلقي والاطلاع، حيث تلبّس بالطرق الصوفية الموجودة آنذلك من القادرية والنّقشبندية السورية(عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة 302، 304؛ بركات، 1990،صفحة 56-59)، وتمتد زمنيًا هذه الفترة من ولادته إلى غاية مبايعته أي ما يعادل مدّة25 سنة من التكوين الروحي(مفتاح، 2011،صفحة 222).

اتّجهت صوفية الأمير إلى التعمّق والتخلّق، أظهر فيها تصوّفه عن طريق مقاومة العدو، وتضاعفت بشكلٍ واضحٍ أيّام خُلوته بالأسر، حيث تعد مرحلة الأسر بالسجون الفرنسية واستقراره بمدينة بروسة التركية ودمشق السورية عاملاً مهمًا في مباشرة هذه العزلة بضرورة التعبّد والتقرّب من العالم الروحاني ونبذ الجسد، وقد شملت هذه المرحلة فترات الأسر خاصّة سنوات1264-1279هـ/1847-1862م(عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة22؛ مفتاح، 2011،صفحة226-228) .

الملاحظُ أنّ الأمير لم يصل إلى قمّة المعرفة الصوفية إلاّ بالتقائه بالعالم الصوفي محمّد الفاسي بالمدينة المنورة الذي منحه الطريقة الشاذلية، ويرجع اهتمام الأمير به إلى تطابق المنهج والمشرب الدّرقاوي مع الأمير؛ ممّا دفع الأمير لإيثار حياة الانقطاع والعبادة والخلوة مجدّدًا، حيث كانت خلوته الأولى بغار حراء والثانية بالمدينة متّخذًا محمّد الفاسي أستاذًا له، لذا تعد هذه المرحلة من أبرز مراحل النضج الصوفي في نشر أفكاره بين الأوساط الاجتماعية والعلمية بدمشق(عبد القادر الجزائري، 2004، ج1،صفحة22؛ مفتاح،2011،صفحة228-230؛ بلغراس،2010،صفحة143-144).

ولعلّ هذه الفترة جعلت الأمير يُصاب بإرهاقٍ شديدٍ لقلّة نومه وأكله، فكان لا يتناول إلّا الخبز والزيتون، حتّى ظهرت على جسده أضلعه من شدّة القسوة على نفسه، وهذا ما جعل هنري تشرشل يتحسّر على حاله بقوله: "وقد نجح في تحقيق أعلى المراتب الدّينية التي تعتبر أساسية وجليلة، بعد عملٍ شاقٍ وإنكارٍ طويلٍ للذّات"(تشرشل،1982،صفحة292، 294).

ترك الأمير عبد القادر العديد من المؤلّفات الصوفية التي تحمل في مكنونها فكره وتوجهاته وفلسفته والتي لامست المرحلة الأخيرة من حيات، فجعلته ثريًا معطاءً في العديد من الأغراض المختلفة ومن أبرزها: "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد" (عبد القادر الجزائري،1964،صفحة 28؛ بن عمار،2018،صفحة 189؛ بوشريط،2011،صفحة 208-209؛ بوعزيز،1983،صفحة 132؛ بن السبع،2000،صفحة 230) وكتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"(فرعون، 2009-2010،صفحة 41-42؛ بن عمار،2018،صفحة 189)، وكتاب "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" (عشراتي،2004،صفحة 244؛ قاصري،2011،صفحة 52، 60) وكتاب" مذكّرات الأمير عبد القادر(بن السبع،2000،صفحة 212-213؛ بن ساعد، 2003-2004،صفحة 117-118، 121-123) إضافة إلى "ديوان

الأمير"(بركات،1990،صفحة 47-48؛ بلغراس،1990،صفحة 141)، كما ترك الأمير مجموعة من المراسلات الرّسمية والإخوانية ومصنّفاتٍ أخرى في علم الكلام والتّقنيات العسكرية التي عكست قدرة الأمير على التأليف في أحلك الظروف(بن السبع،2000،صفحة 238؛ بن ساعد، 2003-2004،صفحة182).

3. الإنسان الصوفي الكامل في المدونة الصوفية للأمير

منح الأمير عبد القادر للإنسان الصوفي منزلةً خاصّةً دون غيره من المخلوقات، باعتباره خليفة الله في الأرض ومُعمّرها، لذا فهو مهيّأ في نظره لنيل المراتب العليا، فسمّاه بـ: "الإنسان الكامل" الذي جعل له جوهرةً نفيسةً تتضمن جميع أسرار الموجودات، ولعلّ هذا التوجه الفكري الذي ساقه الأمير للإنسان ارتبط بفكرة الإنسان عند ابن عربي في القرن7هـ/13م الذي طرح مفهومه من الناحية العرفانية الخاصّة، حيث جعله مفارقا للإنسان الحيوان الذي اكتسب الصفات الإلهية عكس الحيوان الذي يزاحم الإنسان في الجسد دون العقل(ابن عربي، د.ت، صفحة 4-5؛ المطهري،1990،صفحة 12؛ عبد القادر الجزائري،1989،صفحة 92؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة 478)، في حين ذهب الجيلاني إلى وصف الإنسان الصوفي الكامل بالقطب الذي تدور حوله الأفلاك، وهو مطابق لصفات سيّد الخلق محمّد(صلعم) الذي يقابل الحقّ والخلق(الجيلاني، د.ت،ج2،صفحة44-46).

من هنا فقد أصبح الإنسان الصوفي هو علّة الوجود، فكلّ ما خلق وضع لخدمته لبلوغ صفة الكمال، وكأنّ الخالق أراد من ذلك تحقيق مشروع إلهي يجسده الإنسان على أرض الواقع، وهو ما يمنح للإنسان صفة المبلّغ للرسالة الإلهية.

كما سمّاه الأمير أيضا "العالم الأصغر" الذي يناظر العالم الأكبر(الكون) معنىً لما له من صفات روحانية وجسمانية أرضية وسماوية، ولهذا فقد سُخّرت له الخلائق لخدمته لتحقيق المعرفة والكمال عكس الحيوان(عبد القادر الجزائري،1989،صفحة 92-93؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة478). ولأجل ذلك فقد جعل الأمير للإنسان موقعًا خاصّا يعلو كلّ الموجودات، لكونه أزليٌ قديمٌ لم يخرج من العدم عكس المخلوقات الأخرى التي خرجت من العدم إلى الوجود، وهذا ما يؤكّد أنّ خلق الإنسان أمرٌ قد دُبّر من طرفه سبحانه وتعالى منذ زمن بعيد، وبذلك فقد أشار الأمير أنّ للنّفس البشرية صورةً إلهيةً صحيحةً خاليةً من كلّ خللٍ أو اعتلال؛ فحقيقة النّفس في نظره هي الروح والروح هي من خلق الله، ولعلّ هذا الأمر هو ما يجعل رسولنا الكريم أفضل الخلق روحًا وجسدًا وحثّى على الملائكة الذين أمروا بالسجود له (عبد القادر الجزائري،1989،صفحة92-93؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة478).

وبالتالي فإنّ الإنسان الصوفي في نظر الأمير هو المخلوق الكامل الذي حقّق غاية الله في خلقه؛ لكونه جامعٌ بين الباطن والظاهر، فهو أشرف المخلوقات وأكملها، كما أنّه ملكٌ وملكوتٌ يجمع الحقائق الكونية والإلهية، ولهذا سمّاه أيضًا بالإنسان "المثل الذي لا مثل له"(عبد القادر الجزائري،1989،صفحة92-93؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة 450، 478، 573).

وبالنظر إلى كتاب المواقف، فإنّ الأمير عبد القادر قد منح للإنسان الذي ترجع أموره للأمر الإلهي عدّة مفاهيم، حيث جعل له روحا وعقلا ونفسا، فالروح واحدة والعقل نور الروح والنّفس روح العقل، على أنّ الروح والنّفس واحدة تشترك في اتصالها

بالعالم العلوي الروحاني الربّاني، في حين قد تتّصل بالعالم السفلي مرّة أخرى لملامستها الجسد(عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة357، ج2،صفحة580).

وفي مواضع أخرى جعل منه الظاهر والباطن؛ فالظاهر خلق كوني متّصل بالعالم السفلي، وباطني حقّ إلهي مرتبط بالعالم العلوي يتّصف بالصفات بالأسماء والصفات الإلهية(عبد القادر الجزائري،2004، ج2،صفحة450). حيث اشترط الأمير في وظيفة هذا الإنسان لحمل مشعل الخلافة الربّانية، تحلّيه بالصفات والأسماء الإلهية في الصفات الباطنية، التي تجعله يتّصل بالعالم العلوي ليبلغ صفات الإنسان الكامل الصوفي، فهو في نظره حقيقة إلهية جزئية مستمدة من الحقيقة الإلهية الكلية (عبد القادر الجزائري،2004، ج2،صفحة552).

خلاصة يمكننا القول، أنّ صفة الإنسان الكامل الصوفي في نظر الأمير عبد القادر لم تخرج عن دائرة ما وضعه شيخه الأكبر ابن عربي في اعتباره ماهية الإنسان الكامل تتضمن ما هو قديم إلهي ومخلوق حادث، فهو في نظره واسطة بين الله ومخلوقاته تجلت في ذاته الصفات والأسماء الإلهية (بدوي، 1976،صفحة67).

وهذا ما جعل الأمير يجعل للإنسان عدّ مفاهيم ترتبط بكون الإنسان الصوفي الكامل هو ذلك الشخص الذي يجمع بين العالم العلوي والعالم السفلي في تكامله، حيث يكون له الرقي الربّاني بدرجة نقاء روحه التي ينال بها شرف العلية، فهو في نظره خلق وحق يسعى إلى تحقيق الكمال التي يستدعي التحلّي بالصفات الإلهية التي تجبره على التحلّي بروح المسؤولية أمام الخالق وعباده من خلال العديد من الوظائف، ولعلّ هذه الصورة هي التي جعلت الأمير عبد القادر يضع للإنسان الصوفي العديد من التصورات والمعتقدات التي تحتاج إلى التمثيل والتصوير على أرض الواقع.

4.الضوابط العقدية والقيمية للإنسان الصوفي

استمد الأمير عبد القادر تفكيره من القرآن والسنّة وما تركه الأوائل خاصّة في المجال الصوفي والفلسفي، لذا فقد كانت أفكاره تُؤمن بوحدة الدّين والعقيدة؛ فنجده يسخّر فكره الفلسفي لتغيير الأوضاع المحيطة به سواءً بطريقةٍ نظريةٍ أو عملية، وبذلك فقد جاءت حياته العملية مطابقة للتوجّهات الإيديولوجية والدينية والعقدية.

على هذا الأساس فقد حاولنا جمع أهم المرتكزات الفكرية الإيديولوجية العقدية ذات الطابع الفلسفي الصوفي سواءً من تراثه الفلسفي أو تجربته الشخصية على أرض الواقع، والتي اعتمد عليها في صياغة مشروع الإنسان الصوفي انطلاقا من فكرة التصوّر والمعتقد الذي بني عليه الإنسان الصوفي باعتباره علّة وجود الكون وبكون العلم الأصغر الذي اختزل في ذاته العالم الأكبر.

ومن أهم الضوابط العقدية القيمية التي أثارت الجدل حول عقيدة الإنسان الصوفي لدى الأمير هي مسألة وحدة الوجود(سالم،2005،صفحة188؛ العنزي وعلوان،2012،صفحة201-203)، التي وظّفها الأمير في كتابه المواقف (الموقف248) الذي تحدّث فيه عن مراتب الوجود؛ حيث جعل الإنسان آخرها وخصّه بمنزلةٍ هامّةٍ لكونه آخر الموجودات من حيث الخلق، فهو المخلوق الذي يسود جميع المخلوقات عُلوًا وسُفلاً لكرم خِلقته، فجميع المخلوقات خُلقت لخدمته ممّا جعله يأخذ صفة الكمال جسدًا وروحًا، وهنا نجد الأمير يذهب إلى اعتبار الإنسان الذي يرتقي إلى صفات الكمال-التي لا تتحقّق إلاّ بتكاتف عمله الروحي والجسدي- ملزمٌ بالتشبّث بالشّرع لكونه عين الله في الأرض وخليفته عليها، ولعلّ هذا الحُظوة التي نالها

الإنسان جعلته يأخذ صفة جامعة للعالم كلّه (عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة 448، 477-478، 548، 575؛ الصلاّبي،د.ت،صفحة562).

في نفس الوقت جعل الأمير للإنسان الكامل الصوفي إنسانية تسمو فوق الخلائق باعتباره خليفة الله في الأرض ومُعمّرها، فهو جوهرةً نفيسةً تتضمن جميع أسرار الموجودات، لكونه أزليٌّ قديمٌ لم يخرج من العدم عكس المخلوقات الأخرى التي خرجت من العدم إلى الوجود، وبذلك فإنّ النّفس البشرية صورةً إلهيةً صحيحةً خاليةً من كلّ خللٍ أو اعتلال فحقيقة النّفس في نظره هي الروح والروح هي من خلق الله، وأنّ الإنسان هو المخلوق الكامل الذي حقّق غاية الله في خلقه. ومن هنا فإنّ إنسانية الأمير قد جعلته يدعو إلى تغليب صفات الإنسان الصوفي المطابقة للصورة الإلهية لنبذ العنف الذي يعيشه في ضل الاحتلال الفرنسي (عبد القادر الجزائري،1989،صفحة92-93؛ عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة450، 478، 573).

ونظرا لتطابق فكرة الاختلاف مع مكنون الإنسان الصوفي الكامل، فقد ربط الأمير فكرة الاختلاف بالله تعالى الذي جعله أصلاً ثابتًا، فالإنسان الكامل يختلف عن الآخرين لصلاح مُعتقده وتعلّقه بالصفات الإلهية التي تلزمه الكمال ظاهرا وباطنا، وهذا ما دفع الأمير إلى يجعل الإنسان إلى ثلاثة أصناف مختلفة: ظاهريٌ محضٌ متغلّلٌ في التجسيم والتشبيه، وآخرٌ جاريٌ على حكم الشريعة، وآخرٌ باطنيٌ محضٌ معتقدٌ وهو الآخذ بالتوحيد(الموقف358)، كما دعا الأمير من خلال كتابه المواقف إلى رفع الخلاف بين الأديان رغم أنّها تتّفق في وجود الخالق الذي وُجبت معرفته بأيّ طريقةٍ ما، إمّا عن طريق الاكتشاف أو التقليد أو العقل.

وبذلك فإنّ الاختلاف لا يعدو كونه سوء تفاهمٍ في قراءة الأفكار الدّينية التي أعطت تصوّرات خاطئة عن الله، فكلّ فردٍ يعتقد أنّ طريقته هي المثلى التي تُوجب على الآخر اتّباعها، وهذا ما نلمسه من مُحاولة الطرف المسيحي أو الإسلامي دعوة الآخر لاعتناق ديانته ولو بلغ الأمر حدّ السيف (عبد القادر الجزائري،2004، ج2،صفحة370-371، 379).

ولعلّ فسلفة الاختلاف تدعو الإنسان الكامل الصوفي إلى ضرورة توظيف الحوار كمبدأ قيمي في تبديد العنف والظلم وحوار المتناقضات من الأمور الحضارية، لذا كان الحوار عند الأمير ينطلق من حاجة الإنسان إلى أخيه كونه لا يستطيع لوحده مجابهة تحدّيات عصره، وهذا ما جعل الأمير يقوم بفتح قنوات الحوار بين الأضداد(متناقضي الرأي) التي تحتاج إلى تواصلٍ فعليٍ خاصّة عن طريق اللّغة التي تُعد مفتاح التفاهم والتواصل بين الشعوب(عبد القادر الجزائري،1989،صفحة 149-150؛ خليفي،2014،صفحة216).

ولم تقف ضوابط الأمير عن هذا الحدّ، بل جعل للإنسان الصوفي توجها فكريا إيجابيا في إعداد صورة واضحة للأنا والآخر انطلاقا من تكوينه الفكري والديني، لتظهر ملامحه بشكل واضح أيّام ملامسته للمرحلة العرفانية التي جعلته يرى الأنا والآخر طرفان متكاملان في ظلّ الاختلاف، وهذا ما لمسناه من خلال تفسيره لاختلاف الأديان الذي يرتبط بسوء قراءة الأفكار الدينية، ما جعله يدعو إلى حوار الأديان والمعتقدات والحضارات، وربّما كانت أفكاره هذه تؤسّس لنوعٍ من التقارب مع العدو الفرنسي لإنهاء الصراع بطرقٍ سلميةٍ(عبد القادر الجزائري،2004، ج2،صفحة 370-371، 379؛ الزغبي،2016،صفحة 11-13).

ولكون الأخلاق فضيلة بشرية ترتبط بالإنسان الكامل الذي يجمع الموجودات والماهيات والمعدومات، فقد خصّها الأمير بمنزلة هامّة وسط منظومة العقائد التي وجب على الإنسان التحلّي بها مع العدو والصديق، فهذه الفضيلة هي من صفات الإنسان الكامل المخلوق العاقل الذي يجمع الحقائق الإلهية والكونية، فقد اعتبره "المثل الذي لامثل له"(الموقف248) خاصّة عندما يبلغ

صفة الكمال. وبه فإنّ الأخلاق في نظر الأمير ضابط عقدي نظري وعملي (عبد القادر الجزائري، 1989، صفحة 37، 80؛ عبد القادر الجزائري، 2004، ج2، صفحة 450، 454).

ولتحقيق نفس الغرض، فقد حرص الأمير أن يجعل للإنسان الصوفي النموذج المثالي في التحلّي بالحكمة والمعقولية، فالعقل في نظره آليةُ التمييز بين الطالح والصالح، فنظر العقل أشرف من نظر العين؛ لكون العقل يُدرك نفسه ويُدرك الكلّيات والجزئيات، فيما تغيب عن العين التي يقلّ ادراكها للأمور؛ لأنّ نور العقل أكمل من نور العين؛ وهذا ما جعل الأمير يدعو إلى تحكيم وتوظيف العقل في جميع القرارات الفردية والجماعية، بكلّ حكمة وروية لخلق ثنائية الحكمة والعقل في بلوة القرارات التي تهم الجماعة(عبد القادر الجزائري،2004، صفحة 47؛ عبد القادر الجزائري،1989،صفحة 14، 19، 24).

ولكون الأخلاق المنطلق الأساسي للإنسان الكامل، فقد كان الأمير شديد الحرص على تطبيقها على أرض الواقع من الناحية النّظرية والعملية، فهو يرى أنّ الأخلاق سلوكٌ مُمارسٌ يتّصف به الإنسان الكامل الصوفي وهو شامل للتسامح والانفتاح. وهذا ما نلاحظه من ممارساته اليومية مع العدو والصديق التي تميل إلى المسالمة والمهادنة (عبد القادر الجزائري، 1989، صفحة 37، 80؛ عبد القادر الجزائري، 2004، ج1، صفحة 450، 454).

عصارة القول، أنّ مرحلة السُمو والإبداع الفكري التي بلغها الأمير أيّام ممارسته لتجربة الصوفية العرفانية، قد أوجبت عليه إعداد ضوابط عقدية قيمية محدّدة للإنسان الصوفي الكامل الذي تصوّره وتوسّم فيه مشروعا مستقبليا لتنفيذ ما كان يصبو إليه من أهداف نظرية وعملية. لذا فقد كان يدعو أتباعه وبني جلدته إلى اتّباع سلوك الإنسان الكامل الصوفي والتحلّي بصفاته، فكانت الإنسانية والاختلاف والحوار والحكمة والمعقولية واحترام الآخر أهم المبادئ القيمية العقدية التي ركّز عليها كضوابط روحية هي الخيط الرابط بين الإنسان وربّه، فالإنسان في نظر الأمير حامل رسالة وأمانة أو عهد إلهي وجب تنفيذه على أرض الواقع، وهذا ما سعى إليه الأمير من خلال دعوة أمّته في التحلي بصفات الإنسان الكامل الصوفي.

5.الممارسة السلوكية للإنسان الصوفي عند الأمير

يبدو أنّ فلسفة الأمير الصوفية التي تدعو إلى جعل الفكر الصوفي ممارسة فعلية، قد جعلته يخصّ الإنسان الصوفي الكامل بالعديد من الوظائف، فكان أوّلها تمثيل الله في الأرض أحسن تمثيل يليق به، لكون الإنسان الكامل جامع للصفات والأسماء الإلهية من الناحية الروحية وانتماؤه لعالم الجسد من ناحية أخرى(عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة451) ناهيك عن ماهيته التي تجعله معرّفا عن الإنسان الحيوان وهي وظيفة أخرى تضاف له، فهو الكمال الإلهي في خلقه المنزّه عن كلّ المخلوقات، لأنّ التميز بينهما واضح وجلي(عبد القادر الجزائري،2004، ج1،صفحة 454).

الظاهر أنّ الوظائف العبودية تلزم الإنسان الكامل الصوفي بالممارسة الواقعية، فكان مشروع إصلاح الإنسان هو هدف الأمير باعتباره رجلا صوفيا، لذا فقد راهن على الإرادة الإنسانية لإصلاح ما تلثم من مجتمعه الذي عانى ويلات الاستعمار الفرنسي، من خلال التطبيق الفعلي للضوابط المحدّدة للإنسان الصوفي الكامل، والتي ظهرت بشكل جلي في العديد من المظاهر أبرزها:

1.5 نشر العدل والمساواة:

عمل الأمير من خلال بناء دولته الحديثة على إرساء قيم العدالة والمساواة بين الأفراد، والتي برزت بشكلٍ واضحٍ في إزالة الفروق الفردية في التحصيل الجبائي. لذا كان يعتمد في جمع المال على ما تمليه الشّريعة الإسلامية(سعيدوني،1983،صفحة 123).

ومن دلائل نزاهته وعدله رفع يده عن الأموال التي جُمعت لغرض الجهاد قوله: "أقسم بالله العظيم أنّ ما يدخل يدي سيحتفظُ به كأمانةٍ مقدّسةٍ من أجل أنصار الإسلام" (تشرشل،1982،صفحة 83). والظّاهر أنّ الأمير قد واصل سياسة الحفاظ على استقرار الدّولة بفرض العدالة على النّاس من خلال اختيار من ذوي الكفاءة، والنزاهة، والحياد في فرض النّظام وتخصّ بالذّكر القضاة والموظّفين والحرص على توزيع عادل للثروة التي جمعت من عائدات الحروب(بن ساعد،2003-2004،صفحة 301-306).

2.5 التسامح في معاملة الأسرى والجند:

تَستمِدُ سماحة الأمير قوّتها من الأصول الأولى التي جعلت منه إنسانًا عارفًا خلوقًا، عالما بالكلّيات والجزئيات التي صبغت عليه صفة الورع والنّبوغ الفكري، كما كان لتكوينه الإيديولوجي والتربية الدّينية والروحية عاملٌ مهمٌ في تمسّكه بالفكر الذي يدعو إلى التسامح والانفتاح (حرشوش وحمدادو، 2017،صفحة 425-426).

والملاحظُ أنّ هذه السماحة قد كان أثرٌ بالغٌ في إظهار بساطته وتواضعه مع جنده، لذا نجده يهتم بهم ماديًا ومعنويًا وتثقيفيًا إضافة إلى الاعتناء بملبسهم ومأكلهم، وبلغ الأمر منه دعم معنوياتهم بالمنح والهدايا (حرشوش وحمدادو، 2017،صفحة 428-430).

كما كانت معاملته للأسرى النّصارى خاصّة من النّساء شبيهةٌ بمعاملة الضيوف، حيث منحهم حرية في التدّين بأسلوب حضاريٍ ثقافيٍ ينم عن رجلٍ متفتّحٍ وعارفٍ بالقوانين العالمية التي تضبط معاملة الأسرى، في وقتٍ لم ترتق فيه الدول الأوروبية إلى مصاف احترام الأسير.

لذا فإنّ هذه الصفة قد أكسبت الأمير احترامًا من طرف أسراه فهو عدوٌ كريمٌ خلوقٌ مُسامحٌ، ولعلّ هذه الصفات هي ما تُثبت ندرة الرجل في العصر الحديث. ومن دلائل ذلك ما ذكره أحد الأسرى قوله: "عندما مررت بالسلطان- الأمير-حياني بجلالٍ فريدٍ، وابتسامة مُدهشةٍ وأشار إلي بيده للجلوس، ثمّ سألني رأيي في باء تحصينات، فأجبته بأنّها تبدو لي جيّدة، ويبدو أنّه قد سرّ كثيرا من جوابي"(حرشوش وحمدادو، 2017،صفحة 430-432؛ تشرشل،1982،صفحة 138؛ قلايلية، 2010،صفحة 170؛ دوحة،2010، صفحة 298-303).

3.5 الإيمان بحوار الحضارات:

يذهب الأمير عبد القادر إلى اعتبار الإنسان ابن بيئته فلا يمكنه التواصل مع بني جلدته إلاّ باللّغة التي تعد جسرًا للتواصل المعرفي والثقافي، لذا فقد حمل مشروعًا حضاريًا لم ينتهي بمجرّد انتهاء مقاومته، وإنّما واصل نضاله الفكري لتحقيق التقارب بين الحضارات الإنسانية الممثلة في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ولهذا فقد كان كثيرًا ما يردّد عبارة رفضه أن يكون مُحاربًا ولكن الوضع السّياسي المحيط به دفعه إلى حمل السلاح ضدّ العدو(خليفي،2014، صفحة 216-217).

ولعلّ دعوة الأمير الى ترجيح العقل تعد بداية فعلية للإيمان بحوار الحضارات، فمقولته الشهيرة تدل على ذلك قوله: "يلزم العاقل أن ينظر في القول ولا ينظر في قائله، فما كان القول حقّا قبله سواءً كان قائله معروفًا بالحقّ أو الباطل" (خليفي،2014، صفحة 216).

ومن دلائل دعوته لهذا الحوار ردّه على أسقف الجزائر أنطوان ديبش سنة1262هـ/1845م الذي طلب منه إطلاق سراح الأسرى فردّ عليه الأمير قائلاً: "اسمح لي بأن أقول لك:...أنّه كان عليك أن تطلب منّي إطلاق سراح ليس واحدًا فقط، ولكن كلّ المسيحيين الذين وقعوا في الأسر منذ استئناف الحرب" (تشرشل،1982،صفحة 101-102).

4.5 الدعوة إلى حوار الأديان:

أظهر الأمير عبد القادر من خلال الإشارات التّاريخية أنّه رجلٌ مُنفتحٌ على الأديان والعقائد المختلفة، ومن مظاهر هذه الدعوة قيامه بزيارة الكنائس وربطه لعلاقاتٍ واسعةٍ مع الأساقفة والقسّيسين، ومن هذه الكنائس كنيسة مادلين، ونوتردام حيث اندهش من التحف الفنّية الموجودة بها، ممّا يوحي باحترامه لهذه العقائد والتوجّهات الدّينية المسيحية (تشرشل،1982،صفحة 342-343).

الظّاهر أنّ الدعوة لحوار الأديان هي من المبادئ الهامة التي دعا إليها الأمير من خلال دعوته إلى اتّحادها في ظلّ الاختلاف الحاصل، وإن كان الأمير ينفي ذلك ويعطي مفهومًا منسجمًا يجمع بينها انطلاقًا من اشتراكها في بعض القيم الإنسانية كحفظ الشخص، والنّفس، والمال والأسرة والتي تتطابق مع مقاصد الشّريعة الإسلامية(حمادي،2014-2015، صفحة 111-112).

5.5 مراتب الآخر في فكر الأمير:

كان الأمير عبد القادر ينظر للطرف الآخر على أنّه عنصرٌ مهمٌ له، فلا يستطيع الانفصال عنه لأنّه لا يستطيع العيش بعيدًا عنه، لذا فإنّه يؤثّر ويتأثّر به، وعلى هذا فقد جعل الأمير للآخر عدّة تصنيفات جسّدها على أرض الواقع، حيث صنّف الآخر المسيحي المعارض له لغةً ودينًا إلى صنفان: صنف مستعمرٌ لبلاده غاشمٌ وغاصبٌ لحقوقه وهي العدو فرنسا التي عزم على قتالها وافتاك النُصرة منها(بوجلال،2013، صفحة 09). أمّا الصّنف الثاني فهي من أصل فرنسا وليست معادية له و هي شخصيات سياسيةٌ ودبلوماسيةٌ ربطت علاقات حسنة مع الأمير، ومنها أنطوان ديبش الذي تبادل معه رسائل إطلاق سراح الأسرى(بوجلال،2013، صفحة 09).

في حين نجده يجعل بعض المسلمين في صنف الآخر، خاصّة أولئك الذين أضرموا له العداء وناصروا العدو رغم تشابه القيم الإسلامية واللّغوية والثقافية فيما بينهم، ومنهم حكّام المغرب وتونس وبعض الطرق الصوفية التي أيّدت المستعمر(بوعزيز،1983،صفحة 110-114).

6.5 الفتنة الطائفية قمّة للأنسنة وتسامح الدّين ونموذجٌ للسّلم العالمي:

تعود هذه الفتنة إلى زمن استقرار الأمير بدمشق السورية خلال الفترة الممتدة ما بين 1270-1301هـ/ 1853-1883م التي عرف فيها الأمير توجّهًا ثقافيًا وعلميًا جديدًا اعتمد فيه على التدريس والدّراسة ومجالسة العلماء وأهل الذّكر (قلايلية،2010،صفحة 176).

والظّاهر أنّ هذه الفتنة التي ارتبطت بيوم التّاسع من جويلية من سنة1277هـ/1860م، دارت وقائعها بين الدروز المسلمين والموارنة المسيحيين في لبنان، حيث انتقلت هذه الحمّى إلى دمشق بسرعة بسبب قضية الامتيازات التي منحت للمسيحيين بالشام، ممّا دفع الأمير إلى حشد رجاله لجمع المسيحيين ووفّر لهم الحماية في بيته وبيوت جيرانه وبالقلعة التركية بحمايةٍ عسكريةٍ جزائريةٍ، فكان منهم الرجال والنّساء والأطفال، وقد دامت حراسة الأمير لهؤلاء قرابة عشرة أيّام يفاوض فيه الدروز في عدم ارتكاب المجازر(تشرشل،1982،صفحة 360؛ أباظة،1994، صفحة 17).

ورغم جهود الأمير، إلاّ أنّ عدد ضحايا المسيحيين قد بلغ20 ألفًا دمّرت فيه380قرية مسيحية و560كنيسة، ونفس الحال تكبّده الدوروز من خسائر مادية وبشرية. في حين تمكّن الأمير من إنقاذ 15 ألف مسيحي كانوا تحت رحمة القتل لولا تدخله الإنساني(حرشوش وحمدادو،2017، صفحة433). ومن دلائل رفض الأمير للفتنة ورفضه لها قوله للدّرزيين: "إنّني لن أسلم إليكم مسيحيًا واحدًا، إنّهم إخوتي، فتقهقروا وإلاّ أمرت رجالي بإطلاق النّار"(دوحة،2010، صفحة 304).

إنّ هذا الموقف يظهر إنسانية الأمير التي أخذت عدّة أبعاد تدعو إلى الكرامة والتحرّر والتفكير العقلي وترفض العنصرية بكلّ أنواعها، فكان هذا التصرف ينم عن رجلٍ مُسلمٍ مُفكرٍ مُتفتّحٍ على الحضارات يؤمن بمشروع السلام العالمي بين الأديان والشعوب.

الملاحظُ أنّ ما فعله الأمير جعل العديد من الشخصيات العالمية تشيد بعبقريته وإنسانيته السمحاء وسعيه الدؤوب في الحفاظ على السلم، فكان العدو والصديق لأعماله شاكرين وبالرسائل باعثين، حيث عبّرت هذه الرسائل عن مدى احترامهم لهذا الرجل العربي الشجاع خاصّة من دول بريطانيا وفرنسا وروسيا والدولة العثمانية والماسونية الفرنسية التي دعته للانخراط في جمعيتها(دوحة،2010،صفحة 304؛ حرشوش وحمدادو،2017، صفحة 433-434؛ قلايلية، 2010، صفحة 178).

من هنا، فإنّ ما فعله الأمير يدخل في خانة الرجال العظماء في العصر الحديث؛ فعلمه وفكره الصوفي الفلسفي ونظرته البعدية للأحداث أكسبت الرجل سماحةً وتعايشًا وسلامًا لطالما حمله كمشروعٍ تجسّدت أسسه على أرض الواقع، ولعلّ تجربة الأمير في نبذ التطرف والفساد والعنصرية في سبيل إرساء قيم التسامح والتعايش والسلام هي نتفٌ من جمهرةٍ كبيرةٍ من الجزائريين الذين حملوا مشعل الدفاع عن القيم الإنسانية.

6. صوفية الأمير و إنسانيته في ميزان الدّراسات الأجنبية

سوف نقتصر في هذه الإشارات على آراء بعض المفكرين الأجانب من الفرنسيين وغيرهم حول موقفهم من القيم الصوفية لدى الأمير، والتي تهدف إلى تدعيم قيم السلام والتعايش ودعم ثقافة التسامح بين الشعوب.

ولعلّ من أبرز الشهادات الفرنسية ما ذهب إليه المفكر غوستاف دوجا Gustave Dugat - (1824-1894) الذي أظهر إعجابه بإنسانية الأمير خاصّة في الأفق الفكري الذي ظنّ أنّه يلامس نوعًا ما أساقفة ومؤرّخي فرنسا. وبلغ به الأمر من الإعجاب مقارنته بفكر البابا في عبارة مفادها قوله:" Abdelkader parle comme un théologien de Sorbonne, il est en parfaite communion de doctrine avec le pape"، وأحيانًا يعمد على تشبيه رسالته الأخلاقية والإنسانية بسيرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم في عديد المواضع(Gustave, 1858, p:xix).

ونفس الانطباع تركه المفكر برينو إيتيان Bruno Etienne حول الأمير عبد القادر خاصّة نظرته الفلسفية الصوفية للأمور وقدرته على مسايرة النّهضة الفكرية مع الالتزام بتعاليم الدّين الحنيف، لذا اعتبره الرجل الفيصل بين الشرق والحداثة وأنّه الرجل الذي دعا إلى الإنسان المواكب للحداثة في ظلّ العزلة. ولعلّ من شدّة إعجاب برينو بالأمير هو دعوة الأمير إلى حوار الحضارات الإنسانية في المجال الدّيني ومحاولته التوفيق بين المسلمين والنّصارى في ظل عالمٍ منسجمٍ متكاملٍ، وهذا ما جعل برينو إيتيان BrunoEtienneيستدل بعبارة الأمير الشهيرة قوله: "أنّ البشر إخوةٌ"؛ ممّا دفع العالم المسيحي يروج لها رغم أصالتها في الفكر الإسلامي(Bruno,1994,p:19-20, 123).

إضافة إلى المفكر الأمريكي جون كيزر John W. Kiser الذي عكف دراسة حياة الأمير عبد القادر متوقّعا في شخصه رجلاً مهمًّا محبّا للسلام العالمي، حيث كان عنوان كتابه "أمير المؤمنين الأمير عبد القادر" تعبيرٌ عن إعجابه به وقد عبّر عن في طريقة التعامل مع الأسرى والنّصارى، حتى أنّه أعطى للعمليات العسكرية للأمير صفة الجهاد الحقيقي ضدّ العدو ووصفه بالرجل الشريف، كما أشار إلى أحداث1277هـ/ 1860م بدمشق واصفًا إيّاه بالرجل القيادي الحقيقي والبطل في حلّ المشاكل. ويظهر من خلال معالجته لحياة الأمير عبد القادر هو حرصه على إبداء نوع من الموضوعية في الطرح، لذا أخذ John W. De Kiser في إظهار المزايا التي اتّصف بها الأمير من وجهة موضوعية الهدف منها إرساء قواعد السلام الدولي انطلاقًا من تجربة الأمير عبد القادر(kiser,2008,p:130,187,308).

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية التي نحاول الاستفادة منها هي الغاية المرجوة من هذا العمل يمكن الخروج بالنتائج التالية:

– تبيّن لنا أنّ شخصية الأمير عبد القادر لا يمكن اختزالها في وريقات معدودة، فعبقرية الرجل وعلمه و ثقافته الصوفية والفلسفية أكسبته عالمية وشهرة في البحث عن ماهية الإنسان الكامل الصوفي.

– الواضح أنّ تأثّر الأمير بشيخه ابن عربي قد بدى بشكل جلي من خلال محاولته منح الإنسان الصوفي عدة مفاهيم، حيث جعل للإنسان روحا ونفسا وعقلا ترتبط بالأمر الإلهي لنيل مرتبة الشرف، كما جعل للإنسان باطن خلق كوني سفلي وظاهر حق علوي متّصف بالصفات الإلهية، مشترطا في حمل رسالته وخلافته الربّانية التحلّي بالصفات والأسماء الإلهية في الصفات الباطنية التي تجعله يتّصل بالعالم العلوي ليبلغ صفات الإنسان الكامل الصوفي.

– إنّ غاية الكمال جعلت الأمير يخيط للإنسان العديد من الضوابط والقيم العقدية التي يمكن تجسيدها على أرض الواقع، حيث توسّم في هذا الإنسان الصوفي مشروعا مستقبليا ينفّذ به طموحاته، لذا فقد كان يدعو أتباعه وبني جلدته إلى اتّباع سلوك الإنسان الكامل والتحلّي بصفاته، كضوابط روحية هي الخيط الرابط بين الإنسان وربّه، فالإنسان في نظر الأمير حامل ميثاق أو عهد إلهي وجب تنفيذه على أرض الواقع.

– الظاهر أنّ تحقيق مشروع الإنسان الكامل لدى الأمير هو ما دفعه لربطه بالعديد من الوظائف الوجودية والمعرفية والسلوكية الاجتماعية، فراهن على الإرادة الإنسانية لإصلاح ما تلثم من مجتمعه الذي عانى ويلات الاستعمار الفرنسي من خلال التطبيق الفعلي للضوابط المحدّدة للإنسان الصوفي الكامل، والتي ظهرت بشكل جلي في العديد من المظاهر كانت شاهدة على نبل هدفه وإنسانية السمحاء في سبيل تحقيق الأمن والسلم وحوار الثقافات والشعوب، فكانت صوفية الأمير من النّماذج السبّاقة

إلى نشر ثقافة السّلم العالمي والداعية إلى تحقيق تناغم بين الإنسان الصوفي المثالي المرتبط بالعالم العلوي والإنسان الصوفي المجسّد الممارس لطموحات المتصوفة على أرض الواقع.

المصادر والمراجع:

- أباظة نزار. (1994). *الأمير عبد القادر الجزائري*. دمشق: دار الفكر المعاصر.
- ابن عربي محي الدّين. (د.ت). *الإنسان الكامل*. دون مكان النشر.
- البناني وآخرون. (1988). *مذكّرات الأمير عبد القادر* (الإصدار 2). د.م: دار الأمة.
- الجيلاني عبد الكريم ابن براهيم. (د.ت). *الإنسان الكامل في معرفةالأواخر والأوائل* (المجلد 2). مصر: مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح وأولاده.
- الزبيري محمّد العربي. (1982). *الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الزغبي أمجد أحمد. (2016). الآخر في فكر الأمير عبد القادر. (جامعة20أوت1955 المحرر). *مجلّة البحوث والدّراسات الإنسانية* (12).
- السيد فؤاد الصالح. (1985). *الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا*. الجزائر: الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
- الصلابي علي محمّد محمّد. (د.ت). *كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي*. لبنان: دار المعرفة.
- العربي إسماعيل. (1975). *المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر*. الجزائر: الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
- العنزي طالب سالم حسن وعلوان سلمى حسين. (2012). وحدة الوجود عند محي الدين ابن عربي546-638هـ/1151-1240م من منظور استشراقي. *مركز دراسات الكوفة* (27).
- المطّهري مرتضى. (1990). *الإنسان الكامل، ترجمة جعفر صادق الخليلي* (الإصدار 1). بيروت، لبنان.
- بدوي عبد الرحمن. (1976). *الإنسان الكامل في الإسلام* (الإصدار 2). د.م: وكالة المطبوعات.
- بركات محمّد مراد. (1990). *الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي*. جامعة عين شمس: دار النّشر الالكتروني.
- بلغراس عبد الوهاب. (2010). هل يعتبر الأمير عبد القادر مجدّدا فلسفيا و صوفيا؟.*مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ* (5).
- بن السبع عبد الرزاق. (2000). *الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه*. السعودية: مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري.
- بن ساعد عائشة.(2003-2004). *البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري*. رسالة ماجستير.قسم التّاريخ.كلّية العلوم الإجتماعية والإنسانية.جامعة الجزائر. الجزائر.
- بن عمّار الزهرة.(2018).حقيقة الفكر الصوفي عند الأمير عبد القادر المفكر الراشد والقائد الرائد. *مجلّة حوليات جامعة الجزائر . 1* (32).
- بوجلال نادية. (2013). الأمير عبد القادر بين التصوف والفلسفة. (المدرسة العليا للأساتذة المحرر) *مجلّة الباحث ، 5* (1).
- بوشريط أحمد. (2011). الجانب الديني في فكر الأمير عبد القادر من خلال المقراض الحاد.*مجلة عصور الجديدة* (1).
- بوعزيز يحي. (1983). *الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري* (الإصدار 3). تونس/ الجزائر: الدار العربية للكتاب/الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
- تشرشل هنري. (1982). *حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله* (الإصدار 2). الجزائر: الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
- حرشوش كريمة وحمدادو بن عمر.(2017).النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري. (جامعة وهران المحرر) . *مجلّة عصور* .(35-34)
- حمادي هواري. (2014-2015). أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر. (جامعة معسكر، المحرر) *مجلّة الناصرية للدّراسات التّاريخية والإجتماعية* .(6-5)
- خليفي بشير. (2014). الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري. *مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ* (9).

– دوحة عبد القادر. (2010). إسهام الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني. *مجلّة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ* (5).

– سالم زكي. (2005). *الإتّجاه النّقدي عند ابن عربي* (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة الثقافة الدّينية.

– سعد الله أبو القاسم. (1976). *تاريخ الجزائر الحديث* (المجلد 2). القاهرة: معهد الدراسات الشرقية.

– سعيدوني ناصر الدين. (2000). *عصر الأمير عبد القادر الجزائري*. السعودية: مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري.

– سعيدوني ناصر الدين. (1983). النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر. *مجلّة الثقافة* (75).

– عبد القادر الجزائري. (1989). *المقراض الحاد لقطع لسان منقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد* (الإصدار 1). الجزائر: دار الطاسيلي للنّشر والتّوزيع.

– عبد القادر الجزائري. (2004). *المواقف الرّوحية والفُيُوضات السُّبُوحية،تحقيق إبراهيم عاصم الكيالي* (الإصدار 1، المجلد 1-2). بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

– عبد القادر الجزائري. (1964). *تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي* (الإصدار 2). بيروت: منشورات دار اليقضة.

– عبد القادر الجزائري. (2004). *ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،تقديم عشراتي سليمان*. وهران: دار الغرب للنّشر والتّوزيع.

– عشراتي سليمان. (2004). *الأمير عبد القادر المفكر* (الإصدار 2). وهران: دار الغرب للنّشر والتّوزيع.

– فرعون حمو. (2009-2010). *فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري(دراسة أنتروبولوجية). رسالة ماجستير*. قسم الأنتروبولوجيا. كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر.

– قاصري محمّد السعيد. (2011). الأمير عبد القادر في ذاكرة أحفاده"الأميرة بديعة الحسني الجزائري أنموذجا". *مجلّة منتدى الأستاذ* (11).

– قلايلية العربي. (2010). البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتاب (حياة الامير عبد القادر)لشارل هنري تشرشل. (منشورات المركز الجامعي المحرر) *مجلّة المعيار* (2).

– مفتاح عبد الباقي. (2011). *بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي* (الإصدار 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

-Bruno Etienne .(1994) .*Abdelkader*: isthme des isthmes (barzakh al-barazikhn.m: librairi.e hachette.

-Gustave Dugat .(1858) .*Emir abdelkader*, le livre d'abdelkader, intitulé » rappel a l'intelligent, avis a l'indifférent ,« considérations philosophiques, religieuses, historiques, etc .Paris :traduit avec l'autorisation de l'auteur sur le manuscrit original de la bibliotheque imperial.

References :

- Abāẓah Nizār. (1994). al-Amīr ʻAbd al-Qādir al-Jazā'irī. Dimashq : Dār al-Fikr al-muʻāṣir.
- Ibn ʻArabī Muḥyī alddyn. (D. t). al-insān al-kāmil. Dawwin makān al-Nashr.
- al-Bannānī wa-ākharūn. (1988). mdhkkrāt al-Amīr ʻAbd al-Qādir (al-iṣdār 2). D. M : Dār al-ummah.
- al-Jīlānī ʻAbd al-Karīm Ibn Barāhīm. (D. t). al-insān al-kāmil fī mʻrftāl'wākhr wa-al-Awā'il (al-mujallad 2). Miṣr : Maktabat wa-Maṭbaʻat Muḥammad ʻAlī Ṣubayḥ wa-Awlāduh.
- al-Zubayrī Muḥammad al-ʻArabī. (1982). al-Kifāḥ al-musallaḥ fī ʻahd al-Amīr ʻAbd al-Qādir. al-Jazā'ir : al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.
- al-Zughbī Amjad Aḥmad. (2016). al-ākhar fī fikr al-Amīr ʻAbd al-Qādir. (jām't20'wt1955 al-muḥarrir). mjllh al-Buḥūth wālddrāsāt al-Insānīyah (12).
- al-Sayyid Fu'ād al-Ṣāliḥ. (1985). al-Amīr ʻAbd al-Qādir mtṣwfā wa-shāʻiran. al-Jazā'ir : alshshrkh al-Waṭanīyah llnnshr wālttwzyʻ.
- al-Ṣallābī ʻAlī Muḥammad Muḥammad. (D. t). Kifāḥ al-Shaʻb al-Jazā'irī ḍidda al-iḥtilāl al-Faransī. Lubnān : Dār al-Maʻrifah.

- al-‘Arabī Ismā‘īl. (1975). al-muqāwamah al-Jazā’irīyah taḥta Liwā’ al-Amīr ‘Abd al-Qādir. al-Jazā’ir : alshshrkh al-Waṭanīyah llnnshr wālttwzy‘.
- al-‘Anzī Ṭālib Sālim Ḥasan w‘lwān Salmá Ḥusayn. (2012). Waḥdat al-wujūd ‘inda Muḥyī al-Dīn Ibn ‘rby546-638h / 1151-1240m min manẓūr astshrāqy. Markaz Dirāsāt al-Kūfah (27).
- almṭṭhry Murtaḍá. (1990). al-insān al-kāmil, tarjamat Ja‘far Ṣādiq al-Khalīlī (al-iṣdār 1). Bayrūt, Lubnān.
- Badawī ‘Abd al-Raḥmān. (1976). al-insān al-kāmil fī al-Islām (al-iṣdār 2). D. M : Wakālat al-Maṭbū‘āt.
- Barakāt Muḥammad Murād. (1990). al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī al-Mujāhid al-Ṣūfī. Jāmi‘at ‘Ayn Shams : Dār alnnshr al-iliktrūnī.
- blghrās ‘Abd al-Wahhāb. (2010). Hal yu‘tabaru al-Amīr ‘Abd al-Qādir mjdddā flsfyā wa Ṣūfiyā?. mjllh al-mawāqif lil-Buḥūth wālddrāsāt fī al-mujtama‘ wālttārykh (5).
- ibn al-sab‘ ‘Abd al-Razzāq. (2000). al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī wa-adabuh. al-Sa‘ūdīyah : Mu’assasat Jā’izat ‘Abd al-‘Azīz Sa‘ūd al-Bābaṭīn lil-ibdā‘ alshsh‘ry.
- ibn Sā‘id ‘Ā’ishah. (2003-2004). al-Bu‘d al-rūḥī li-Muqāwamat al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. Risālat mājistīr. Qism alttārykh. kllyh al-‘Ulūm al-ijtimā‘īyah wa-al-insānīyah. Jāmi‘at al-Jazā’ir. al-Jazā’ir.
- bn ‘mmār al-Zahrah. (2018). Ḥaqīqat al-Fikr al-Ṣūfī ‘inda al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-mufakkir al-Rāshid wa-al-qā’id al-Rā’id. mjllh Ḥawlīyāt Jāmi‘at al-Jazā’ir. 1 (32).
- bwjlāl Nādiyah. (2013). al-Amīr ‘Abd al-Qādir bayna al-taṣawwuf wa-al-falsafah. (al-Madrasah al-‘Ulyā lil-asātidhah al-muḥarrir) mjllh al-bāḥith, 5 (1).
- bwshryṭ Amḥammad. (2011). al-jānib al-dīnī fī fikr al-Amīr ‘Abd al-Qādir min khilāl almqrāḍ al-ḥādd. Majallat ‘uṣūr al-Jadīdah (1).
- Bū‘azīz Yaḥyá. (1983). al-Amīr ‘Abd al-Qādir Rā’id al-Kifāḥ al-Jazā’irī (al-iṣdār 3). Tūnis / al-Jazā’ir : al-Dār al-‘Arabīyah lil-Kitāb / alshshrkh al-Waṭanīyah llnnshr wālttwzy‘.
- Tshurshil Hinrī. (1982). ḥayāt al-Amīr ‘Abd al-Qādir, tarjamat wa-ta‘līq Abū al-Qāsim Sa‘d Allāh (al-iṣdār 2). al-Jazā’ir : alshshrkh al-Waṭanīyah llnnshr wālttwzy‘.
- ḥrshwsh Karīmah wḥmdādw ibn ‘Umar. (2017). al-nasab wa-al-tanshi’ah wa-ta’thīrahumā ‘alá insānīyah al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. (Jāmi‘at Wahrān al-muḥarrir). mjllh ‘uṣūr (34-35).
- Ḥammādī Hawwārī. (2014-2015). Ab‘ād al-taṣawwuf ‘inda al-Amīr ‘Abd al-Qādir. (Jāmi‘at Mu‘askar, al-muḥarrir) mjllh al-Nāṣirīyah llddrāsāt alttārykhyh wa-al-Ijtimā‘īyah (5-6).
- Khalīfī Bashīr. (2014). al-falsafah al-akhlāqīyah ‘inda al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. mjllh al-mawāqif lil-Buḥūth wālddrāsāt fī al-mujtama‘ wālttārykh (9).
- dawḥat ‘Abd al-Qādir. (2010). Is′hām al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī fī al-qānūn al-dawlī al-insānī. mjllh al-mawāqif lil-Buḥūth wālddrāsāt fī al-mujtama‘ wālttārykh (5).
- Sālim Zakī. (2005). al’ttjāh alnnqdy ‘inda Ibn ‘Arabī (al-iṣdār 1). al-Qāhirah : Maktabat al-Thaqāfah alddynyh.
- Sa‘d Allāh Abū al-Qāsim. (1976). Tārīkh al-Jazā’ir al-ḥadīth (al-mujallad 2). al-Qāhirah : Ma‘had al-Dirāsāt al-Sharqīyah.
- Sa‘īdūnī Nāṣir al-Dīn. (2000). ‘aṣr al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. al-Sa‘ūdīyah : Mu’assasat Jā’izat ‘Abd al-‘Azīz Sa‘ūd al-Bābaṭīn lil-ibdā‘ alshsh‘ry.
- Sa‘īdūnī Nāṣir al-Dīn. (1983). al-niẓām al-ḍarībī li-Dawlat al-Amīr ‘Abd al-Qādir. mjllh al-Thaqāfah (75).
- ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. (1989). almqrāḍ al-ḥādd lqṭ‘ Lisān mnqṣ dīn al-Islām bālbāṭl wa-al-ilḥād (al-iṣdār 1). al-Jazā’ir : Dār alṭāsyly llnnshr wālttwzy‘.
- ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. (2004). al-mawāqif alrūḥyh wālfuyūḍāt alsubūḥyh, taḥqīq Ibrāhīm ‘Āṣim al-Kayyālī (al-iṣdār 1, al-mujallad 1-2). Bayrūt. Lubnān : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. (1964). Tuḥfat al-zā’ir fī tārykh al-Jazā’ir wāl’myr ‘bd al-Qādir, sharḥ wa-ta‘līq Mamdūḥ Ḥaqqī (al-iṣdār 2). Bayrūt : Manshūrāt Dār alyqḍh.

- ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī. (2004). dhikrá al-‘Āqil wa-tanbīh al-ghāfil, taqdīm ‘Ashrātī Sulaymān. Wahrān : Dār al-Gharb llnnshr wālttwzy‘.
- ‘Ashrātī Sulaymān. (2004). al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-mufakkir (al-iṣdār 2). Wahrān : Dār al-Gharb llnnshr wālttwzy‘.
- Fir‘awn Ḥammū. (2009-2010). Falsafat al-Ikhtilāf ‘inda al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī (dirāsah antrūbūlūjīyah). Risālat mājistīr. Qism al-Antrūbūlūjiyā. kllyh al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-‘Ulūm al-ijtimā‘īyah. Jāmi‘at Abī Bakr Balqāyid. Tilimsān. al-Jazā’ir.
- qāṣry Muḥammad al-Sa‘īd. (2011). al-Amīr ‘Abd al-Qādir fī dhākirat aḥfādihi "al-Amīrah Badī‘ah al-Ḥasanī al-Jazā’irī anmūdhajan". mjllh Muntadá al-Ustādh (11).
- qlāylyh al-‘Arabī. (2010). al-Bu‘d al-insānī fī shakhṣīyah al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī min khilāl Kitāb (ḥayāt al-Amīr ‘Abd al-Qādir) li-Shārl Hinrī Tshurshil. (Manshūrāt al-Markaz al-Jāmi‘ī al-muḥarrir) mjllh al-Mi‘yār (2).
- Miftāḥ ‘Abd al-Bāqī. (2011). Buḥūth ḥawla kutub wa-mafāhīm al-Shaykh al-akbar Muḥyī al-Dīn Ibn ‘Arabī (al-iṣdār 1). Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
-Bruno Etienne .(1994) .Abdelkader: isthme des isthmes (barzakh al-barazikhn.m: librairi.e hachette.
-Gustave Dugat .(1858) .Emir abdelkader, le livre d’abdelkader, intitulé » rappel a l’intelligent, avis a l’indifférent ,« considérations philosophiques, religieuses, historiques, etc .Paris :traduit avec l’autorisation de l’auteur sur le manuscrit original de la bibliotheque imperial.